محمـود درويـش

مختـارات شعريـة

obeikandl.com

obeikandl.com

ولاء

حملتُ صوتكَ في قلبي وأوردتي
فما عليك إذا فارقت معركتي
أطعمتُ للريح أبياتي وزخرفها
إن لم تكن كسيوف النار.. قافيتي!
آمنت بالحرف.. إما ميتاً عَدَماً
أو ناصبا لعدوّي حبلَ مشنقةِ
آمنت بالحرف ناراً.. لا يضير إذا
كنتُ الرمادَ أنا.. أو كان طاغيتي!
فإن سقطتُ.. وكفي رافع علمي
سيكتبُ الناس فوق القبر
((لم يَمُتِ))

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

عن الصمود

-١-

لو يذكرُ الزيتون غارسَهُ

لصار الزيت دمعا!

يا حكمة الأجداد

لو من لحمنا نعطيك درعا!

لكنّ سهل الريح،

لا يعطي عبيد الريح زرعا

إنّا سنقلع بالرموش

الشوكَ والأحزانَ قلعا!

وإلام نحمل عارنا وصليبنا!

والكون يسعى...

سنظل في الزيتون خضرته،

وحول الأرض درعا!!

obeikandl.com

-٢-

إنا نحبُّ الوردَ،

لكنّا نحبُّ القمح أكثر

ونحبُّ عطر الورد،

لكن السنابل منه أطهر

فاحموا سنابلكم من الإعصار

بالصدر المسَمَّرْ

هاتوا السياج من الصدور..

من الصدور فكيف يكسر؟؟

إقبض على عنق السنابل

مثلما عانقتَ خنجرْ!

الأرض، والفلاح، والإصرار،

قل لي: كيف تقهرْ..

هذي الأقانيم الثلاثة،

كيف تقهر؟

* * *

obeikandl.com

بطاقة هوية

سَجِّلْ!

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفْ

وأطفالي ثمانيةٌ

وتاسعهم.. سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب؟

سَجِّلْ!

أنا عربي

وأعمل مع رفاقي الكدح في محجرْ

وأطفالي ثمانيةٌ

أسلُّ لهم رغيفَ الخبز،

والأثواب والدفتر

من الصخر..

ولا أتوسَّلُ الصدقات من بابِكْ

obeikandl.com

ولا أصغرْ

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب؟

سجل

أنا عربي

أنا أسمٌ بلا لقبِ

صبورٌ في بلادٍ كُلِّ ما فيها

يعيش بفورةِ الغضب

جذوري..

قبل ميلاد الزمان رستْ

وقبل تفتُّح الحقب

وقبل السرو والزيتون

.. وقبل ترعرع العشبِ

أبي.. من أسرة المحراث

لا من سادةٍ نُجُبِ

وجدي كان فلاحا

بلا حسبٍ.. ولا نسبِ!

يُعَلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب

وبيتي، كوخ ناطورٍ

obeikandl.com

من الأعواد والقصبِ

فهل تُرضيك منزلتي؟

أنا إسمٌ بلا لقبِ!

سجل!

أنا عربي

ولون الشعر فحميٌّ

ولون العين بنيٌّ

وميزاتي:

على رأسي عقالٌ وكوفيهْ

وكفي صلبةٌ كالصخر..

تخمشُ من يلامسها

وعنواني:

أنا من قرية عزلاء.. منسيَّهْ

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها.. في الحقل والمحجرْ

فهل تغضبْ

سجل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

obeikandl.com

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي

سوى هذي الصخور..

فهل ستأخذُها

حكومتكم.. كما قيلا؟

إذن!

سجل.. برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكرهُ الناسَ

ولا أسطو على أحد

ولكني.. إذا ما جعتُ

آكلُ لحمَ مغتصبي

حذارِ.. حذارِ.. من جوعي

ومن غضَبي!!

* * *

obeikandl.com

إلى أمي

أحنُّ إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي..

وتكبرُ فيَّ الطفولةُ

يوما على صدر يومِ

وأعشقُ عمرِي لأني

إذا متُّ،

أخجل من دمع أُمي!

خذيني، إذا عدتُ يوماً

وشاحاً لهُدْبِكْ

وغطّي عظامي بعشب

تعمَّد من طهر كعبك

وشدّي وثاقي..

بخصلة شَعر..

obeikandl.com

بخيط يلوِّح في ذيل ثوبك..

عساني أصيرُ إلهاً

إلهاً أصيرُ..

إذا ما لمستُ قرارة قلبك!

ضعيني، إذا ما رجعتُ

وقوداً بتنور نارك..

وحبل غسيل على سطح دارك

لأني فقدت الوقوفَ

بدون صلاة نهارك

هَرِمْتُ، فردّي نجوم الطفولة

حتى أشارك

صغار العصافير

درب الجوع..

لعُشِّ انتظارِك!

* * *

obeikandl.com

ريتا والبندقية

بين ريتا وعيوني.. بندقيَّهْ

والذي يعرف ريتا، ينحني ويصلي

لإله في العيون العسليَّهْ

.. وأنا قبلت ريتا

عندما كانت صغيره

وأنا أذكر كيف التصقتْ

بي وغطَّت ساعدي أحلى ضفيره

وأنا أذكر ريتا

مثلما يذكرُ عصفورٌ غديره

آه.. ريتا

بيننا مليون عصفور وصوره

ومواعيد كثيره

أطلقتْ ناراً عليها.. بندقيهْ

إسمُ ريتا كان عيداً في فمي

obeikandl.com

جسم ريتا كان عرسا في دمي

وأنا ضعت بريتا سَنتين.

وتعاهدنا على أجمل كأس، واحترقنا

في نبيذ الشفتين

وولدنا مرتين!

آه.. ريتا

أي شيء ردَّ عن عينيك عينيَّ

سوى اغفاءتين

وغيوم عسليَّهْ

قبل هذي البندقيهْ

كان يا ما كان

يا صمت العشيَهْ

قمري هاجرَ في الصبح بعيداً

في العيون العسليه

والمدينة

كنست كل المغنين، وريتا

بين ريتا وعيوني.. بندقيه

* * *

obeikandl.com

غريب في مدينة بعيدة

عندما كنتُ صغيراً

وجميلاً

كانت الوردة داري

والينابيع بحاري

صارت الوردة جرحا

والينابيع ظمأ

- هل تغيرت كثيرا؟

- ما تغيرتُ كثيراً

عندما نرجع كالريح

إلى منزلنا

حدّقي في جبهتي

تجدي الورد نخيلا

و الينابيع عرق

obeikandl.com

تجديني مثلما كنتُ

صغيراً

وجميلا..

* * *

obeikandl.com

قراءة في وجه حبيبتي

.. وحين أُحدِّق فيك

أرى مدُنا ضائعهْ

أرى زمنا قرمزيا

أرى سبب الموت والكبرياء

أرى لغة لم تسجّل

وآلهة تترجل

أمام المفاجأة الرائعه

وتنتشرين أمامي

صفوفا من الكائنات التي لا تُسمى

وما وطني غير هذي العيون التي

تجعل الأرض جسما..

وأسهر فيك على خنجر

واقف في جبين الطفولة

هو الموت مفتتح الليله الحلوه القادمه

obeikandl.com

وأنت جميلـه

كعصفور نادمه

.. وحين أحدِّقُ فيك

أرى كربلاء

ويوتوبيا

والطفولـهْ

وأقرأ لائحة الأنبياء

وسفر الرضا والرذيلـهْ..

أرى الأرض تلـعب

فوق رمال السماء

أرى سببا لاختطاف المساء

من البحر

والشرفات البخيلـهْ!..

* * *

obeikandl.com

أعراس

عاشقٌ يأتي من الحرب إلى يوم الزفاف

يرتدي بدلتَهُ الأولى

ويدخلْ

حلبة الرقص حصاناً

من حماس وقرنفلْ

وعلى حبل الزغاريد يُلاقى فاطمه

وتُغني لهما

كل أشجار المنافي

ومناديل الحداد الناعمه

ذبَّل العاشق عينيه

وأعطى يَدَهُ السمراء للحنّاء

والقطن النسائي المقدس

وعلى سقف الزغاريد تجيء الطائرات

obeikandl.com

طائرات

طائرات

تخطف العاشقَ من حضن الفراشه

ومناديل الحداد

وتُغنّي الفتيات:

قد تزوجتَ

يا محمَّد!

وقضيتَ الليلة الأولى

على قرميد حيفا

يا محمد!

يا أمير العاشقين

يا محمد!

وتزوجت الدوالي

وسياج الياسمين

يا محمد!

وتزوجت السلالمْ

obeikandl.com

يا محمد

وتقاوم

يا محمد!

وتزوجت البلاد

يا محمد!

يا محمد!

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

موسيقى عربية

((ليتَ الفتى حجرٌ..))

يا ليتني حَجَرُ

أكُلَّما شَرَدَتْ عينانِ

شرَّدَني

هذا السحابُ سحاباً

كُلَّما خَمَشَتْ عصفورةٌ أفقاً

فَتشتُ عن وثنِ؟

أكُلَّما لمَعَتْ جيتارَةٌ

خضعتْ

روحي لمصرعها في رغوةِ السُفُنِ

أكُلَّما وجدتْ أنثى أُنوثتها

أضاءني البرقُ من خصري

وأحرقني!

أكُلَّما ذَبُلتْ خُبّيزَةٌ

obeikandl.com

وبكى طيرٌ على فننِ

أصابني مَرَضٌ

أو صِحْتُ يا وطني!

أكُلَّما نَوَّرَ اللوزُ اشتعلتُ بِهِ

وكلما احترقا

كنتُ الدخانَ ومنديلاً

تمزقني

ريحُ الشمال، ويمحو وجهيَ المطرُ؟

ليتَ الفتى حَجَرٌ

يا ليتني حَجَرُ..

* * *

obeikandl.com

لحن غجري

شارِعٌ واضحٌ

وبنت

خرجتْ تُشْعلُ القمرْ

وبلادٌ بعيدةٌ

وبلادٌ بلا أثرْ..

حُلُمٌ مالحٌ

وصوتْ

يحفرُ الخصرَ في الحجرْ

اذهبي يا حبيبتي

فوق رمشي.. أو الوتَرْ

قَمَرٌ جَارحٌ

وصمتْ

يكسر الريحَ والمطر

يجعل النهرَ إبرةً

obeikandl.com

في يد تنسجُ الشَجَرْ

حائطٌ سابحٌ

وبيتْ

يختفى كُلَّما ظَهَرْ

رُبَّما يقتلوننا

أو ينامون في المَمَرْ...

زَمَنٌ فاضحٌ

وموتْ

يشتهينا إذا عَبَرْ

انتهى الآن كُلُّ شيء

واقتربنا من النهر

انتهت رحلةُ الغجر

وتعبنا من السَفَرْ

شارعٌ واضحٌ

وبنتْ

خرجت تُلصِقُ الصُوَرْ

فوق جدران جُثتي

وخيامي بعيدةٌ

وخيامٌ بلا أثرْ...

obeikandl.com

أرى ما أريد

-١-

أرى ما أُريدُ منَ الحقْلِ.. إنِّي أَرى
جدائِلَ قمْحٍ تمشّطُها الريحُ، أغْمِضُ عينيّ:
هذا السرابُ يؤدّي إلى النّهَوَنْدْ
وهذا السكونُ يؤدّي إلى اللازَوَرْدْ

-٢-

أرى ما أريدُ من البحرِ.. إني أرى
هبوبَ النَّوارسِ عندَ الغروبِ، فأغمضُ عيْنَيّ:
هذا الضياعُ يؤدي إلى أنْدَلُسْ
وهذا الشراعُ صلاةُ الحمامِ عليّ...

-٣-

أرى ما أريدُ من الليْلِ... إني أرى
نهاياتِ هذا الممرِّ الطويلِ على بابِ إحْدى المُدُنّ
سأرمي مفكّرتي في مقاهي الرصيف، سأجلسُ هذا الغيابْ

obeikandl.com

على مَقْعدٍ فوق إحْدى السُفُنْ

-٤-

أرى ما أريدُ من الرُّوحِ: وجْهَ الحَجَرْ

وقدْ حكّهُ البرْقُ، خضراءُ يا أرضُ... خضراءُ يا أرضَ روحي

أما كنتُ طفلاً على حافةِ البئْر يلْعب؟

ما زِلتُ ألعبُ... هذا المدى ساحتي، والحجارَةُ ريحي

-٥-

أرى ما أريدُ من السِّلْم... إني أرى

غزالاً وعشباً، وجدْولَ ماءِ... فأغمضُ عينيّ:

هذا الغزالُ ينامُ على ساعِديَ

وصيادُهُ نائمٌ، قربَ أوْلادِهِ، في مكانٍ قَصيّ

-٦-

أرى ما أريدُ منَ الحرْبِ... إني أرى

سواعِدَ أجْدادِنا تعصُرُ النبعَ في حَجَرٍ أخْضرا

وآباءنا يرثُون المياهَ ولا يُورِثون، فأُغمضُ عينيّ:

إنّ البلادَ التي بينَ كفَّيّ من صُنْع كفَّيّ

-٧-

أرى ما أريدُ منَ السجن: أيَّامَ زهْرهْ

مَضَتْ من هُنا كيْ تدُلَّ غريبيْن فيّ

obeikandl.com

على مقْعدٍ في الحديقةِ، أغمضُ عينيّ:

ما أوسعْ الأرْضَ! ما أجملَ الأرْضَ من ثُقبِ إبرهْ

-٨-

أرى ما أريدُ من البرقِ... إني أرى

حُقولاً تُفَتِّتُ أغلالها بالنباتاتِ، مرْحـــى،

لأغنيةِ اللوْز بيْضاءَ تهبِطُ فوْق دُخانِ القُرى

حمَاماً... حمَاماً نقاسمهُ قوتَ أطفالنا

-٩-

أرى ما أريدُ من الحبِّ... إني أرى

خُيولاً تُرقِّصُ سهلاً، وخمْسينَ غيتارَةً تتنهَّدْ

وسرْباً منَ النحلِ يمتصُّ توتَ البراري، فأغمضُ عينيّ

حتّى أرى ظلَّنا خلْفَ هذا المكانِ المُشَرَّدْ

-١٠-

أرى ما أريد من الموْتِ: إني أحِبُّ، ويَنْشَقُّ صدري

ويقفزُ منه الحصانُ الإروسيُّ أبيضَ يركُضُ فوقَ السحابْ

يطيُر على غيْمةٍ لا نهائيةٍ ويدورُ مع الأزْرقِ الأبديّ...

فلا توقفوني من الموتِ، لا تُرجعوني إلى نجمةٍ من تُرابْ

obeikandi.com

-١١-

أرى ما أريدُ من الدمِ: إني رأيْتُ القتيلْ

يُخاطبُ قاتلَهُ مذْ أضاءتْ رصاصتهُ قلبَهُ: أنتَ لا تستطيعْ

من الآن أن تتذكر غيري قتلتك سهواً، ولن تستطيع

من الآن أنْ تتنكَّر غيري... وأن تتحملَ وِرْدَ الربيعْ

-١٢-

أرى ما أريدُ من المسرْحِ العبثِي: الوحوشْ

قُضاةَ المحاكمِ، قبعةَ الإمبراطورِ، أقنعة العصرْ،

لونَ السماءِ القديمةِ، راقصةَ القصْرِ، فوضى الجيوشْ

فأُنسى الجميعَ، ولا أتذكّرُ إلا الضحيّةَ خلْفَ الستارْ...

-١٣-

أرى ما أريدُ من الشعْرِ: كُنّا قديماً إذا استُشهد الشعراء

نشيّعهُمْ بالرياحينِ ثم نعودُ إلى شعْرهمْ سالمينْ...

ولكنّنا في زمانِ المجلاتِ والسينما والطنين نُهيلُ الترابَ على

شِعْرهمْ ضاحكينْ...

وحين نعودُ نراهُمْ على بابِنا واقفيْن...

-١٤-

أرى ما أريدُ منَ الفَجْرِ في الفَجْرِ... إني أرى

obeikandl.com

شعوباً تفتّشُ عنْ خبْزِها بين خُبْزِ الشعوبْ

هو الخُبْزُ، يُنْسلُنا من حرير النعاسِ، ومن قُطْنِ أحْلامنا

أمنْ حبّةِ القمْح يبزُغُ فجْرُ الحياةِ... وفجْرُ الحُروبْ؟

-١٥-

أرى ما أريدُ منَ الناسِ: رغْبَتَهُمْ في الحنينْ

إلى أيّ شيءٍ. تباطؤهُمْ في الذهابِ إلى شُغْلِهمْ

وسُرْعتهُمْ في الرجوعِ إلى أهْلِهمْ...

وحاجتهُمْ للتحيّةِ عندَ الصباحْ...

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

شتاء ريتا

ريتا ترتبُ ليل غرفتنا: قليلُ

هذا النبيذ،

وهذه الأزهارُ أكبُر من سريري

فافتح لها الشُبَّاكَ كي يتعطرَ الليلُ الجميلُ

ضَعْ، ههُنا، قمراً على الكرسيِّ. ضع

فوقَ، البحيرةَ حول منديلي ليرتفعَ النخيلُ

أعلى وأعلى،

هل لَبِسْتَ سواي؟ هل سكنتك امرأةٌ

لتُجهشَ، كلما التفَّتْ على جِذْعي فروعك؟

حُكَّ لي قدمي، وحُكَّ دمي لنَعْرِفَ ما

تخلفهُ العواصفُ والسيولُ

مني ومنك..

تنامُ ريتا في حديقة جسمها

توت السياج على أظافرها يضيء الملح في

obeikandi.com

جسدي. أحبك. نام عصفوران تحت يدي..

نامت موجة القمح النبيل على تنفسها البطيء،

ووردة حمراء نامت في الممر،

ونام ليل لا يطول

والبحر نام أمام نافذتي على إيقاع ريتا

يعلو ويهبط في أشعة صدرها العاري، فنامي

بيني وبينك، لا تغطي عتمة الذهب العميقة بيننا

نامي يدا حول الصدى

ويدا تبعثر عزلة الغابات، نامي

بين القميص الفستقي ومقعد الليمون، نامي

فرسا على رايات ليلة عرسها..

هدأ الصهيل

هدأت خلايا النحل في دمنا، فهل كانت هنا

ريتا وهل كنا معا؟

ريتا سترحلُ بعد ساعات وتترك ظلَّها

زنزانةٌ بيضاء.. أين سنلتقي

سألتْ يديها، فالتفتتْ إلى البعيد

البحرُ خلفَ الباب، والصحراء خلف البحر، قبلني على

obeikandl.com

شفتيَّ- قالتْ. قلتُ: يا ريتا: أأرحل من جديد

ما دامَ لي عنبٌ وذاكرةٌ، وتترُكني الفصولُ

بين الإشارة والعبارة هاجساً؟

ماذا تقول؟

لا شيءَ يا ريتا، أقلِّد فارساً في أغنية

عن لعنة الحب المحاصر بالمرايا...

عني؟

يستلُّ سكينا، وآخَرُ يُودِعُ النَّايَ الوصايا

لا أدركُ المعنى، تقولُ

ولا أنا، لغتي شظايا

كغياب امرأة عن المعنى، وتنتحرُ الخيولُ

في آخر الميدان

ريتا تحتسي شايَ الصباحِ

وتقشرُ التفاحة الأولى بعشر زنابق،

وتقول لي:

لا تقرأ الآنَ الجريدةَ، فالطبولُ هي الطبولُ

والحربُ ليست مهنتي. وأنا أنا. هل أنتَ أنتَ؟

أنا هو،

obeikandl.com

هو من رآك غزالةً ترمي لآلِئَها علَيْه

هو من رأى شهواته تجري وراءك كالغدير

هو مَنْ رآنا تائهين توحَّدا فوق السرير

وتباعدا كتحية الغرباء في الميناء، يأخذُنا الرحيلُ

في ريحه ورقاً ويرمينا أمام فنادقِ الغرباء

مثلَ رسائلٍ قُرِئَتْ على عَجَلٍ،

أتأ خذني معكْ؟

فأكونَ خَاتَمَ قلبك الحافي، أتأ خذني مَعَكْ

فأكونَ ثوبك في بلادٍ أنجبتكَ.. لِتَصْرَعكْ

وأكونَ تابوتا من النعناعِ يحمِلُ مصرعكْ

وتكون لي حياً وميتاً،

ضاع يا ريتا الدليلُ

والحبُّ مثلُ الموتِ وَعْدٌ لا يُرَدُّ ولا يزولُ

.....

.....

.....

.....

لم يترك الحراسُ لي باباً لأدْخُلَ، فاتكأت على الأُفقْ

ونظرتُ تحتَ،

obeikandl.com

نظرتُ فوقَ،

نظرتُ حولَ،

فلم أجد

أُفُقاً لأنظُرَ، لم أجد في الضوء إلّا نظرتي

ترتدُّ نحوي. قلتُ: عودي مرةً أخرى إلَّي، فقد أرى

أحدا يحاولُ أن يرى أفقاً يُرَمِّمُهُ رسولُ

برسالة من لفظتين صغيرتين: أنا، وأنتِ

فَرَحٌ صغيٌر في سرير ضيقِ.. فرحٌ ضئيلُ

لم يقتلونا، بعدُ، يا ريتا، ويا ريتا ثقيلُ

هذا الشتاءُ، وباردٌ

.....

.....

.....

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

عابرون في كلام عابر

أيها المارونَ بين الكلمات العابرة

احملوا أسماءكُمْ وانصرفوا

واسحبوا ساعاتِكم من وقتِنا، وانصرِفوا

واسرقوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة

وخذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا

أنكُم لن تعرفوا

كيف يبني حجرٌ من أرضنا سقفَ السماءْ

أيها المارونَ بين الكلمات العابرة

منكمُ السيف، ومنّا دمُنا

منكُمُ الفولاذ والنارــ ومنا لحمنا

منكم دبابة أخرى ــ ومنا حجرُ

منكم قنبلة الغاز، ومنا المطرُ

وعلينا ما عليكُم من سماءٍ وهواءْ

obeikandl.com

فخذوا حصَّتكم من دمِنا.. وانصرفوا

وادخلوا حفلَ عشاءٍ راقص وانصرفوا

وعلينا، نحن، أن نحرس وردَ الشهداء

وعلينا، نحن أن نحيا كما نحنُ نشاءْ

أيها المارونَ بين الكلماتِ العابرة

كالغبارِ المرِّ، مرُّوا أينما شئتُم ولكن

لا تمروا بيننا كالحشراتِ الطائرِة

فَلنا في أرضِنا ما نعملُ

ولنا قمحٌ نربيه ونسقيه ندى أجسادِنا

ولنا ما ليسَ يُرضيكم هنا:

حجرٌ.. أو حَجَلُ

فخُذوا الماضي، إذا شئتُم، إلى سوقِ التحف

وأعيدُوا الهيكل العظميُّ للهدهُد، إن شئتُم،

على صحنِ خزَف

فلنا ما ليسَ يُرضيكم: لنا المستقبلُ

ولنا في أرضنا ما نعملُ

أيها المارونَ بين الكلماتِ العابرةْ

obeikandl.com

كدّسوا أوهامَكم في حفرةٍ مهجورةٍ، وانصرِفوا

وأعيدوا عقربَ الوقتِ إلى شرعيّة العِجلِ المقدّس

أو إلى توقيتِ موسيقى المسدّس!

فلنا ما ليسَ يرضيكم هنا، فانصرِفوا

ولنا ما ليس فيكُم. وطنٌ ينزفُ شعباً.. ينزف

وطناً يصلحُ للنسيان أو للذاكرة

أيها المارونَ بين الكلماتِ العابرة

آنَ أنْ تنصرفوا

وتُقيموا أينما شئتُم ولكنْ لا تقيمُوا بيننا

أنَ أنْ تنصرفوا

وتموتوا أينما شئتم، ولكن لا تموتوا بيننا

فلنا في أرضِنا ما نعمَلُ

ولنا الماضي هُنا

ولنا صوتُ الحياةِ الأولُ

ولنا الحاضِرُ، والحاضِرُ، والمستقبَلُ

ولنا الدنيا هنا.. والآخِرةْ

فاخرجُوا من أرضِنا

obeikandl.com

من برِّنا.. من بحرِنا

من قمحِنا.. من ملحِنا.. من جرحِنا

من كل شيءٍ واخرجُوا

من ذكرياتِ الذاكرةْ

أيّها المارونَ بين الكلماتِ العابرةْ!..

* * *

obeikandl.com

الجدارية

تقولُ ممرضتي: كنتَ تهذي
كثيراً وتصرخْ بي قائلاً:
لا أريدُ الرجوعَ إلى أحدْ
لا أريد الرجوعَ إلى بلدْ
بعدَ هذا الغيابِ الطويلْ
أريدُ الرجوعَ فقط
إلى لُغتي في أقاصِي الهديلْ

* * *

هزمتكَ يا موتُ الفنونُ جميعُها
هزمتْكَ يا موتَ الأغاني في بلادِ
الرافدين. مِسلّة المصريْ، مقبَرةُ الفراعِنة
النقوشُ على حجارة معبدٍ هزمتْكَ
وانتصرَتْ وأفْلَتَ من كمائِنكَ
الخلودُ..

obeikandl.com

فاصنعْ بنا واصنعْ بنفسِك ما تريدْ

* * *

وأنا أريدُ أن أحيا..

فلي عملٌ على جغرافيا البركانِ

من أيامِ لوطَ إلى قيامةِ هيروشيما

واليبابُ هو اليبابُ. كأنني أحيا

هنَا أبدأ، وبي شبقٌ إلى ما لسْتُ

أعرف. قد يكونُ ((الآن)) أبعدَ.

قد يكونُ الأمسُ أقربَ. والغدُ الماضي.

ولكني أشدّ ((الآن)) من يده ليعبُرَ

قربيَ التاريخُ، لا الزمنُ المدوّر،

مثل فوضى الماعزِ الجبليّ. هل

أنجو غداً من سرعة الوقت الإلكتروني

أم أنجو غداً من بطء قافلتي

* * *

obeikandl.com

حالة حصار

هنا عند منحدرات التلال،أمامَ الغروبِ

وفوَّهةِ الوقت،

قرب بساتين مقطوعة الظلّ،

نفعلُ ما يفعل السجناء،

وما يفعل العاطلون عن العمل؛

نربي الأمل

* * * *

بلادٌ على أهْبَة الفجر،

صرنا أقلَّ ذكاء،

لأنَّا نُحملق في ساعة النصر:

لا لَيلَ في ليلنِا المُتَلألِئ بالمدفعيّةِ

أعداؤنا يسهرون

وأعداؤنا يشعلون لنا النورَ

في حلكة الأقبية.

obeikandl.com

* * * *

هنا بعد أشعار "أيوب" لم ننتظر أحداً

* * * *

هنا،لا "أنا"

هنا يتذكر "آدمُ" صلصالهُ

* * * *

سيمتدُّ هذا الحصار إلى أن نُعلّم أعداءنا

نماذج من شعرنا الجاهلي.

* * * *

الحياةْ،

الحياةُ بكاملها،

الحياةُ بنقصانها،

تستضيف نجوماً مُجاورةْ

لا زمان لها...

وغيوما مهاجرةَ

لا مكان لها.

والحياةُ هنا

تتساءل:

obeikandl.com

كيف نعيدُ إليها الحياةْ

* * * *

هنا،عند مرتفعات الدخان،على درج

البيت

لا وقْتَ للوقت،

نفعل ما يفعل الصاعدونَ إلى اللّه:

ننسى الألم

* * * *

الألمُ

هو: أن لا تُعلّق سيّدةُ البيت

حبل الغسيل

صباحاً،وأن تكتفي بنظافة هذا العَلَمْ

* * * *

لا صدى هوميريّ لشيء هنا.

فالأساطيرُ تطرق أبوابنا حين نحتاجُها

لا صدى هوميري لشيء....

هنا جنرالٌ ينقب عن دوَلْة نائمةْ

تحت أنقاض طروادة القادمةْ

* * *

obeikandl.com

يقيسُ الجنودُ المسافة بين الوجود

وبين العدم

بمنظار دبابةٍ....

* * * *

نقيسُ المسافةَ ما بين أجسادنا

والقذيفة.... بالحاسَّة السادسة

* * * *

أيها الواقفون على العَتبات أدخلوا،

واشربوا معنا القهوة العربيَّة

[قد تشعرون بأنكم بشر مثلنا]

أيها الواقفون على عتباتِ البيوت،

اخرجوا من صباحاتنا،

نطمئن إلى أننا

بشر مثلكم!

* * * *

نجدُ الوقتَ للتسلية:

نلعب النرْدَ،أو نتصفَّحُ أخبارَنا

في جرائد أمس الجريح،

ونقرأ زاوية الحظّ : في عام

obeikandl.com

ألفين واثنين تبتسم الكاميرا

لمواليد برج الحصار

* * * *

قال لي كاتبٌ ساخرٌ:

لو عرفتُ النهاية،منذ البداية،

لم يبق لي عملٌ في اللُغة

* * * *

الوميضَ،البصيرةُ،والبرقُ

قيد التشابه...

عمَّا قليل سأعرف إن كان هذا

هو الوحي...

أو يعرف الأصدقاءُ الحميمونَ

أن القصيدة مرت،

واودت بشاعرها...

* * * *

[إلي قاتل:] لو تأمَّلْت وجه الضحيّةْ

وفكرت،كنتِ تذكرت أمك في غرفةِ الغاز،

كنت تحررت من حكمة البندقية

وغيَّرت رأيك : ما هكذا تستعادُ الهويَّة!

obeikandl.com

* * * *

[.....إلى قاتل آخر] لو تَرَكْتَ الجَنينَ

ثلاثين يوماً. إذا لتغيرت الاحتمالاتُ:

قد ينتهي الاحتلال ولا يتذكر ذاك

الرضيع زمان الحصار،

فيكبر طفلاً معافى،ويصبحُ شابّاً ويَدْرُسْ

في معهد واحد مع إحدى بَناتِك

تاريخ آسيا القديم

وقد يقعان معا في شباكِ الغرام

وقد ينجبان ابنة [وتكون يهودية بالولادةِ]

ماذا فعلت إذاً؟

صارت ابنتُكَ الآن أرملةً

والحفيدة صارت يتيمة؟

فماذا فعلت بأسرتك الشاردة

وكيف أصبت ثلاث حمائم بالطلقة الواحدة؟

* * * *

لم تكن هذه القافيةْ

ضرورية،لا لضبط النغمْ

ولا لاقتصاد الألم

obeikandl.com

إنها زائدةْ

كذبابِ على المائدةْ

* * * *

القبائلُ لا تستعينَ بكسرى

ولا قيصر، طمعاً بالخلافة،

فالحكم شورى على طبق العائلةْ

ولكنها أعجبت بالحداثة

فاستبدلت

بطائرة إبل القافلةْ

* * * *

سأصرخُ في عُزلتي،

لا لكي أوقظ النائمينْ.

ولكن لتوقظني صرختي

من خيالي السجين!

* * * *

أنا آخر الشعراء الذين

يؤرقهم ما يؤرق أعداءهم:

ربما كانت الأرض ضيّقَة

على الناس،

obeikandl.com

والآلهةْ.

* * * *

هُنَا،تتجمَّعُ فينا التواريخُ حمراءَ،

سوداء. لولا الخطايا لكان الكتابُ

المقَدَّسُ أصغر. لولا السرابُ

لكانت خطى الأنبياء على الرمل أقوى،

وكان الطريق إلى الله أقصر

فلتكمل الأبديَّة،أعمالها الأزليَّةَ...

أمَّا أنا، فسأهمس للظل: لو

كان تاريخَ هذا المكان أقلَّ زحاماً

لكانت مدائحنا للتضاريس في

شجر الحور.... أكثر!

* * * *

خسائرنا: من شهيدين حتى ثمانيةٍ

كلَّ يوم،

وعشرةُ جرحى

وعشرون بيتا

وخمسون زيتونةً،

بالإضافةِ للخلل البنيويّ الذي

obeikandl.com

سيصيب القصيدة والمسرحية واللوحة الناقصةْ

* * * *

قالت الأمُّ

لم أره ماشياً في دمهُ

لم أر الأرجوان على قدمهْ

كان مستنداً للجدار

وفي يده

كأس بابونج ساخن

ويفكر في غده...

* * * *

قالت الأمُّ : في بادئ الأمر لم

أفهم الأمر،قالوا: تزوج منذ

قليل. فزغردت،ثم رقصت،وغنَّيْتُ

حتى الهزيع الأخير من الليل،حيث

مضى الساهرون ولم تبق إلا سلالٌ

البَنَفِسج حولي. تساءلت: أين العروسان؟

قيل :هنالك فوق السماء ملاكان

يستكملان طقوس الزواج. فزغردتُ،

ثم رقصت وغنيت حتى أصبت

obeikandl.com

بداء الشلل فمتى ينتهي،يا حبيبي،شَهْرُ العَسَلْ؟

* * * *

[إلى الشعر:] حاصِرْ حصارَكْ

* * * *

[إلى النثر:] جُرَّ البراهينَ من مُعْجَم

الفقهاء إلى واقع دمرته

البراهين. واشرح غبارك

* * * *

[إلى الشعر والنثر] طيرا معاً

كجناحي سنونوة تحملان الربيع المُباركْ

* * * *

جلسْنَا بعيدين عن مصائدنا كطيور

تُؤثث أعشاشها في ثقوب التماثيل.

أو في المداخن

أو في الخيام التي نُصبتْ

في طريق الأمير إلى رحلة الصيْدْ...

* * * *

الأساطيرُ ترفضُ تعْديل حبْكتها

ربما مسها خلل طارئ

obeikandl.com

ربما جنحت سفن نحو يابسةِ

غير مأهولة،

فأصيب الخَياليَّ بالواقعيْ...

ولكنها لا تغير حبْكتها

كلما وجدت واقعاً لا يلائُمها

عدَّلته بجرَّافة،

فالحقيقة جاريةٌ النصُ،حَسْنَاءُ

بيضاء،من غير سوء...

* * * *

[إلى قارئ] لا تثقْ بالقصيدة،

بنت الغياب،

فَلاَ هي حَدْسٌ

ولا هي فكرٌ

ولكنها حاسة الهاويةْ

* * * *

الكتابة جروٌ صغيرٌ يعَضَّ العَدَمْ

الكتابةُ تجرحُ من دون دم

* * * *

أصدقائي يُعدُّون لي دائماً حَفْلَةَ

obeikandl.com

للوداع،وقبرَا مريحا يظْللُهُ السنديانُ

وشاهدةَ من رخام الزَمن.

فاسبقهم دائماً في الجنازة:

من مات... من؟

* * * *

الشهيدةُ بنتُ الشهيدة بنتُ الشهيد

وأختُ الشهيد وأخت الشهيدة كنَّتُهُ

أمْ الشهيد حفيدة جد شهيد

وجارة عم الشهيد [إلَخ... إلخ...]

ولا شيء يحدث في العالم المتمدْن،

فالزمن البربري انتهى،

والضحية مجهولة الاسم،عادّيةٌ

والضحية-مثل الحقيقة- نسبيَّةٌ

[إلخ... إلخ...]

* * * *

هدوءاً،هدوءاً،فإن الجنود يريدون

في هذه الساعة الاستماع إلى الأغنيات

التي أستمع الشهداء إليها وظلت

كرائحة البن في دمهم... طازجةْ

obeikandl.com

* * * *

هُدْنةَ،هدنةَ لاختبار التعاليم:

هل تصلح الطائرات محاريث؟

قُلنا لهم: هدنة،هدنة لامتحان النوايا

فقد يتسرب شيء من السلْم للنفس!

عندئذ نتبارى على حب أشيائنا

بوسائل شعرية

فأجابوا: ألا تعلمون بأنَّ السلامَ مَعَ النَفْسِ

يفتح أبواب قَلْعتنا

لمقام الحجاز أو النَهَوَنْد؟

فقلنا: وماذا ؟.... وبعد؟

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

أناوجميل بثينة

كَبرْنا،أَنا وجميل بُثَيْنَةَ،كُلٌّ

على حِدَةٍ،في زمانين مُخْتَلِفينْ...

هُوَ الوقْتُ يفعل ما تفعل الشمسُ

والريحُ: يَصْقُلنا ثم يقتلُنا حينما

يحملُ العقلُ عاطفةَ القلب،أَو

عندما يبلغُ القلبُ حكمتهُ

يا جميلُ! أَتكبَرُ مِثْلَكَ،مثلي،بثينةُ؟

تكبَرُ،يا صاحبي،خارجَ القلب

في نَظَر الآخرين. وفي داخلي تستحمُّ

الغزالةُ في نبعها المتدفّق من ذاتها

هِيَ،أم تلك صُورَتُها؟

إنها هِيَ يا صاحبي. دَمُها،لحمُها،

وآسمُها. لا زمان لها. رُبّما استَوْقَفَتْني

obeikandl.com

غداً في الطريق إلى أَمسها

هلأ أَحبَّتْكَ ؟ أَم أَعْجَبَتْها استعارتُها

في أغانيك،لؤلؤةً كُلَّما حدَّقتْ في

لياليكَ وأغرورقتْ.... أَشرقَتْ قمراً قلبُهُ

حَجَر يا جميل؟

هو الحُبُّ،يا صاحبي،موتُنا المُنْتَقَى

عابرٌ يَتَزَوَّجُ من عابر مُطْلَقاً...

لا نهايةَ لي،لا بدايةَ لي. لا

بُثَيْنَةُ لي أَو أَنا لبثينةَ. هذا

هو الحبُّ،يا صاحبي. ليتني كُنْتُ

أَصغرَ منِّي بعشرين باباً لكان

الهواءُ خفيفاً عليَّ،وصورتُها الجانبيَّةُ

في الليل أَوضحَ من شامةٍ فوق

سُرَّتها.....

هل هَمَمْتَ بها،يا جميل،على عكس

ما قال عنك الرُواةُ،وهَمَّتْ بكَ؟

تزوَّجتُها.. وهَزَزْنا السماءَ فسالَتْ

حليباً على خُبْزِنا. كُلَّما جئتُها فَتَّحَتْ

جَسَدي زهرةً زهرةً،وأَراق غدي

خمرَهُ قطرةً قطرةً في أباريقها

هل خُلِقْتَ لها،يا جميل،

وتبقى لها؟

أُمِرْتُ وعُلِّمْتُ لا شأنَ لي

بوجودي المُراقِ كماءٍ على جلدها

العِنَبيّ. ولا شأن لي بالخلود

الذي سوف يتبعُنا ككلاب الرعاة.

فما أَنا إلاَّ كما خلَقَتْني بُثَيْنَةُ

هل تشرحُ الحُبَّ لي،يا جميلُ،

لأَحفظَهُ فكرةً فكرةً؟

أَعْرَفُ الناس بالحُبّ أكثرُهمُ حَيْرَةً،

فاحترِقْ،لا لتعرف نفسك،لكن

لتُشْعِلَ لَيْلَ بُثَيْنَةَ....

obeikandl.com

أَعلى من الليل،طار جميل

وكسَّر عُكَّازتَيْه. ومال على أُذُني

هامساً: إن رأيت بثينةَ في امرأةٍ

غيرها،فاجعل الموت،يا صاحبي،

صاحباً. وتلألأ هنالك،في اسم

بثينة،كالنون في القافيةْ!

* * *

obeikandl.com

قناع لمجنون.... ليلى

وجدتُ قناعاً،فأعجَبَني أَنْ
أكون أَنا آخَري. كنتُ دُونَ
الثلاثين،أَحْسَبُ أَنَّ حدودَ
الوجود هِيَ الكلماتُ. وكنتُ
مريضاً بليلى كأيّ فتىً شَعَّ
في دَمِهِ الملحُ. إنْ لم تكُنْ هِيَ
موجودةً جسداً فلها صُورَةُ الروح
في كُلّ شيء. تُقَرّبُني من
مدار الكواكب. تُبْعِدُني عن حياتي
على الأرض. لا هِيَ مَوتٌ ولا
هي ليْلى. ((أَنا هُوَ انتِ
فلا بُدَّ من عَدمٍ أرزقٍ للعناق
النهائيّ)). عَالجني النهرُ حين
قذفتُ بنفسي إلى النهر مُنْتَحِراً،

obeikandl.com

ثم أَرجعني رَجُلٌ عابر،فسالتُ:

لماذا تُعيد إليَّ الهواء وتجعلُ

موتيَ أَطولَ؟ قال: لتعرف

نفسك أَفضَلَ... مَنْ أَنتَ؟

قلتُ: أنا قيس ليلى، وأنتَ؟

فقال: أنا زوجُها

ومَشَيْنا معاً في أَزقَّةِ غرناطةٍ،

نَتَذَكَّرُ أيَّامنا في الخليج... بلا أَلَمٍ

نتذكَّرُ أيَّامنا في الخليج البعيد.

* * *

أنا قَيْسُ ليلى

غريبٌ عن اسمي وعن زمني

لا أَهزُّ الغيابَ كجذع النخيل

لأّدفع عني الخسارةَ،أَو استعيدَ

الهواء على أَرض نَجْدٍ. ولكنني،

والبعيدُ على حالِهِ وعلى كاهلي،

صوتُ ليلى إلى قلبها

فلتكن للغزالة بريَّتُهْ

غبرُ دربي إلى غَيْبها

obeikandl.com

هل أُضيّقُ صحراءها أم أَوسّعُ لَيْلِي

لتجمعنا نجمتان على دربها؟

لا أرى في طريقي إلى حُبّها

غيرَ أَمسِ يُسَلّي بشِعري القديمِ

نُعَاس القوافل في ليلها،ويُضيءُ

طريقَ الحريرِ بجرحي القديم

لعلَّ التجارةَ في حاجةٍ هِيَ أَيضاً

لما أَنا فيه. أَنا من أولئك،

ممَّنْ يموتون حين يُحبُّونَ. لا شيءَ

أَبعدُ من فَرَسي عن معلَّقة الجاهليّ

ولا شيءَ أَبعدُ من لغَتي عن أمير

دِمَشْقَ. أَنا أوَّلُ الخاسرين. أنا

آخرُ الحالمين وعَبْدُ البعيد. أَنا

كائنٌ لم يكن. وأَنا فكرةٌ للقصيدةِ

ليس لها بَلَدٌ أَو جَسَدْ

وليس لها والدٌ أَو وَلَدْ.

* * *

أَنا قيس ليلى،أنا

وأَنا.... لا أَحَدْ!

obeikandl.com

obeikandl.com

لا أقل، ولا أكثر

أَنا امرأةٌ. لا أَقلَّ ولا أَكثرَ
أَعيشُ حياتي كما هِيَ
خَيْطاً فَخَيْطاً
وأَغزِلُ صُوفي لألبسَهُ،لا
لأُكملَ قصَّةَ ((هُوميرَ))،أَو شمسَهُ
وأَرى ما أَرى
كما هُوَ،في شَكْلِهِ
بيد أَنَّي أُحدّقُ ما بين حينٍ
وآخرَ في ظلَّهِ
لأُحِسَّ بنبض الخسارةِ،
فاكتبْ غداً
على وَرَقِ الأمس: لا صَوْتَ
إلاّ الصدى.
أُحبُّ الغموضَ الضروريَّ في

obeikandl.com

كلمات المسافر ليلاً إلى ما اختفى

من الطير فوق سُفوح الكلام

وفوق سُطُوح القُرى

أَنا امرأة،لا أقلَّ ولا أكثرَ

* * *

تطَيّرُني زَهْرَةُ اللوز،

في شهر آذار،من شرفتي

حنيناً إلى ما يقول البعيدُ:

((آلمسيني لأُوردَ خيليَ ماء الينابيع))

أَبكي بلا سَبَبٍ واضح،واُحبُّكَ

أَنْتَ كما أَنتَ،لا سَنَداً

أَو سُدَى

ويطلع من كتفيَّ نهارٌ عليك

ويهبط،حين أَضمُّكَ،ليلٌ إليك

ولستُ بهذا ولا ذاك

لا،لستُ شمساً ولا قمراً

أّنا امرأةٌ،لا أَقلَّ ولا أكثرَ

* * *

obeikandl.com

فكُنْ أَنتَ قَيْس الحنين،

إذا شئتَ. أَمَّا أَنا

فيُعجِبُني أَن أُحَبَّ كما أَنا

لا صُورَةً

مُلَوَّنَةً في الجريدة،أو فكرةً

مُلَحّنةً في القصيدة بين الأيائلِ...

أَسْمَعُ صرخة ليلى البعيدة

من غرفة النوم: لا تتركيني

سجينةَ قافيةٍ في ليالي القبائلِ

لا تتركيني لهم خبرا....

أَنا امرأةٌ،لا أَقلَّ ولا أكثرَ

* * *

أَنا مَن أَنا،مثلما

أَنت مَنْ أَنت: تسكُنُ فيَّ

وأَسكُنُ فيك إليك ولَكْ

أُحبّ الوضوح الضروريَّ في لغزنا المشترك

أَنا لَكَ حين أفيضُ عن الليل

لكنني لَسْتُ أَرضاً

ولا سَفَراً

obeikandl.com

أَنا امرأةٌ،لا أَقَلَّ ولا أكثرَ

* * *

وَتُتْعبُني

دَوْرَةُ القَمَر الأنثويّ

فتمرضُ جيتارتي

وَتَراً

وَتَراً

أنا امرأةٌ،

لا أَقلَّ

ولا أكثر!

* * *

obeikandl.com

أرى شَبَحي
قادماً من بعيد

أُطلُّ كَشُرْفة بيتٍ،على ما أُريد
أطِلُّ على أصدقائي وهم يحملون بريدَ
المساء: نبيذاً وخبزاً،
وبعض الروايات و الاسطوانات...
أُطلُّ على نورسٍ،وعلى شاحنات جنودْ
تغيرُ أشجار هذا المكانْ.
أطلُّ على كلب جاري المهاجرِ
منْ كندا،منذ عام ونصف...
أطلُّ على اسم ((أبي الطيب المتنبي))..
المسافر من طبريا إلى مصر
فوق حصان النشيدْ
أطلُّ على الوردة الفارسيةِ تَصعَدُ

obeikandl.com

فوق سياج الحديد

أُطلُّ كشرفة بيت على ما أريد

***

أطلُّ على شجرٍ يحرُسُ الليل من نَفْسِهِ

ويحرس نومَ الذين يحبُّونني ميتاً..

اطلُّ على الريح تبحثُ عن وطن الريح

في نفسها...

أطلُّ على امرأةٍ تتشمَّسُ في نفسها...

أطلُّ على موكب الأنبياء القدامى

وهم يصعدُون حفاةً إلى أُورشليم

وأسألُ: هل من نبيٍّ جديدٍ

لهذا الزمان الجديد؟

* * *

أُطلُّ كشرفة بيت،على ما أُريدْ

أُطلُّ على صورتي وهي تهرب من نفسها

إلى السُلَّم الحجري،وتحمل مناديل أمي

وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عُدْتُ

طفلاً؟ وعدتُ إليكِ ... وعدتِ إليَّ

obeikandl.com

أُطلُّ على جذع زيتونة خبَّأت زكريا

أُطلُّ على المفردات التي انقرضت في ((لسان العرب))

أُطلُّ على الفُرس، والروم،والسومريين،

واللاجئين الجُدُدْ...

أُطلُّ على عِقْد إحدى فقيرات طاغور

تطحنُهُ عرباتُ الأمير الوسيمْ...

أُطلُّ على هُدْهُدٍ مُجْهدٍ من عتاب الملكْ

أُطلُّ على ما وراء الطبيعة:

ماذا سيحدث ... ماذا سيحدث بعد الرماد؟

أُطلُّ كَشُرْفةِ بيت على ما أُريدْ

* * *

أُطلُّ على لُغَتي بعدَ يومينْ. يكفي غيابٌ

قليلٌ ليفتح أسخيليوس البابَ للسلم

يكفي

خطابٌ قصير ليُشعل أنطونيو الحربَ،

تكفي

يَدُ امرأةٍ في يدي

كي أُعانق حُريتي

obeikandl.com

وأن يبدأ المدُّ والجزر في جسدي من جديدْ

* * *

أُطلُّ كشرفةِ بيت،على ما أُريدْ

أُطلُّ على شبَحي

قادماً

من

بعيد...

* * *

obeikandl.com

أبدُ الصُبَّار

إلى أين تأخُذُني يا أبي؟

إلى جهة الريح ياولدي

... وهما يخرُجان من السهل،حيث

أُقام جنود بونابرتَ تلاًّ لرصد

الظلال على سور عكّا القديم

يقولُ أبٌّ لابنه: لا تخف. لا

تخف من أزيز الرصاص! النصِق.

بالتراب لتنجو ! سننجو ونعلو على

جبلٍ في الشمال،ونرجعُ حين

يعود الجنود إلى أهلهم في البعيد

-ومن يسكُنُ البيتَ من بعدنا

يا أبي؟

سيبقى على حاله مثلما كان يا ولدي!

تحَسَّسَ مفتاحَهُ مثلما يتحسَّسُ

obeikandl.com

أعضاءه،واطمأن. وقال له

وهما يعبران سياجا من الشوك:

يا ابني تذكَّر! هنا صلب الانجليزُ

أباكَ على شوك صبارة ليلتين،

ولم يعترف أبداً. سوف تكبر يا

ابني،وتروي لمن يَرثُون بنادقهم

سيرة الدم فوق الحَديد..

ـ لماذا تركتَ الحصان وحيداً؟

لكي يُؤْنسَ البيت،ياولدي،

فالبيوتُ تموتُ إذا غاب سُكّانُها...

فتفتحُ الأبديةُ أبوابها من بعيد،

لسيارة الليل. تعوي ذئابُ

البراري على قمر خائفٍ. ويقولُ

أبٌ لابنه: كُنْ قوياً كجدّك!

وأصعَدْ معي تلَّة السنديان الأخيرةَ

يا ابني،تذكَّرْ: هنا وقع الانكشاريُّ

على بغلة الحرب،فاصمد معي

لنعودْ

obeikandl.com

ـ متى يا أبي؟

ـ غدا. ربما بعد يومين يا ابني!

وكان غَدٌ طائشٌ يمضغ الريح

خلفهما في ليالي الشتاء الطويلهْ

وكان جنودُ يُهُوشُعَ بن نونِ يبنون

قَلْعَتَهُمْ من حجارة بيتهما. وهما

يلهثان على درب ((قانا)) هنا

مرَّ سيّدُنا ذاتَ يوم. هنا

جَعَلَ الماءَ خمراً. وقال كلاماً

كثيراً عن الحبّ،يا ابني تذكّر

غداً. وتذكّرْ قلاعا صليبيةً

قضمَتْها حشائش نيسان بعد

رحيل الجنود...

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

سنونو التتار

على قَدْرِ خَيْلي تكونُ السماءُ حلُمْتُ
بما سوف يحدُثُ بعد الظهيرة. كان التتارُ
يسيرون تحتي وتحت السماء،ولا يحلمون
بشيء وراء الخيام التي نصبوها. ولا يعرفون
مصائرَ ماعِزنا في مهبّ الشتاء القريب.
على قدر خَيْلي يكون المساء. وكان التتارُ
يَدُسُّون أَسماءهُمْ في سقوف القرى كالسنونو،
وكانوا ينامون بين سنابلنا آمنين،
ولا يحلمون بما سوف يحدث بعد الظهيرة،حين
تعودُ السماءُ،روَيْداً رُوَيْداً،
إلى أهلها في المساءْ

* * *

obeikandl.com

لنا حُلُمٌ واحدٌ: أَن يمرَّ الهواءْ

صديقاً،وينشُرَ رائحةَ القهوةِ العربيةِ

فوق التلال المحيطة بالصيف والغرباءْ...

* * *

أَنا حُلُمي. كُلَّما ضاقت الأرضُ وَسَّعْتُها

بجناح سُنُونُوَّةٍ واتسعتُ. أَنا حُلُمي...

في الزحام امتلأتُ بمرآة نفسي وأسئلتي

عن كواكبَ تمشي على قَدَميْ مَنْ أُحبُّ...

وفي عزلتي طُرُقٌ للحجيج إلى أُورشليم-

الكلام المُنَتَّف كالريش فوق الحجارة،

كَمْ مِنْ نَبِيّ تريد المدينةُ كي تحفظ اسم

أَبيها وتندم: ((من غير حربٍ سَقَطْتُ))؟

وكم من سماءٍ تُبَدّل،في كل شَعْبٍ،

ليعجبَها شالُها القرمزيُّ؟ فيا حُلمي...

لا تُحدَّقْ بنا هكذا!

لا تكُنْ آخِرَ الشُهَدَاء!

* * *

obeikandl.com

أَخافُ على حُلُمي من وضوح الفراشةْ

ومن بُقَع التوت فوق صهيل الحصان

أَخافُ عَلَيْهِ من الأب والابن والعابرينْ

على ساحل الأبيض المتوسّط بحثاً عن الآلهة

وعن ذَهَب السابقين،

أَخاف على حُلُمي من يديَّ

ومن نجمةٍ واقفة

على كتفي في انتظار الغناء

* * *

لنا،نحن أَهْلَ الليالي القديمة،عاداتُنا

في الصعودِ إلى قَمَر القافيةْ

نُصَدّقُ أحلامَنا ونكذّبُ أيَّامَنا،

فأيَّامُنا لم تكن كُلُّها معنا منذ جاء التتارُ،

وها هم يُعِدُّون أَنفسهم للرحيلِ

وينسون أَيَّامنا خَلْفَهُمْ،وسنهبط عما قليل

إلى عمرنا في الحقول. ونصنع أَعلامنا

من شراشِفَ بيضاءَ. إنْ كانَ لا بُدَّ

obeikandl.com

من عَلَمٍ،فليكُنْ هكذا عارياً

من رُمُوزٍ تُجَعّدُهُ.. ولنكُنْ هادئين

لئلاّ نُطَيّر أحلامَنا خلف قافلة الغرباء

* * *

لنا حُلُم واحد: أَن نَجِدْ

حُلُماً كان يحملنا

مثلما تحملُ النجمةُ الميتين!

* * *

obeikandl.com

مصرع العنقاء

في الأناشيد التي نُنْشدُها

نايٌ،

وفي الناي الذي يَسْكُنُنا

نارٌ،

وفي النار التي نُوقِدُها

عنقاءُ خضراءُ،

وفي مرثية العنقاء لم أَعرفْ

رمادي من غبارِكْ

* * *

غيمةٌ من لَيلَكٍ تكفي

لتُخْفي

خيمة الصيَّاد عنَّا. فأمشِ

فوق الماء كالسيّد ــ قالت لي:

فلا صحراءَ للذكرى التي أَحملها عنكَ

obeikandl.com

ولا أَعداءَ منذ الآن،للورد

الذي يبزُغُ من أَنقاض داركْ!

* * *

كان ماءٌ يُشبهُ الخاتَمَ حول

الجَبَلِ العالي. وكانت طبريّا

ساحةً خلفيَّةً للجنَّة الأولى،

وقلتُ: اكتملَتْ

صُورةُ العالم في عينين خضراوين

قالتْ: يا أَميري وأَسيري

ضَعْ خُموري في جرارِكْ!

* * *

الغريبان اللذان احْتَرَقا فينا

هُما

مَنْ أَرادا قَتْلَنا قبل قليلٍ

وَهُما

مَنْ يعودان إلى سَيْفيْهما بعد قليلٍ

وَهُما

مَنْ يقولان لنا: مَنْ أَنتما؟

نحن ظلاَّن لماِ كُنَّا هنا،واسمان

obeikandl.com

للقمحِ الذي ينبتُ في خبز المعاركْ

* * *

لا أُريدُ العودة الآن،كما

عاد الصليبيونَ منَّي،فأنا

كُلُّ هذا الصمت بين الجهتين: الآلهة

من جِهَةْ،

والذين ابتكروا أَسماءهم

من جِهَةٍ أُخرى،

أَنا الظلُّ الذي يمشي على الماءِ

أَنا الشاهدُ والمشهَدُ

والعابدُ والمَعْبَدُ

في أرض حصاري وحصاركْ

* * *

كُنْ حبيبي بين حربين على المرآة ـ

قالت – لا أُريدُ العودةَ الآنَ إلى

حِصْنِ أَبي... خُذْني إلى كرمكَ،واجمعني

إلى أُمّكَ،عَطِّرني بماء الحَبَقِ،انثرني

obeikandl.com

على آنية الفضَّة،مَشَّطني،وأَدخلني

إلى سِجْنِ اسمكَ،اقتُلْني من الحبّ،

تَزوَّجْني، وزَوّجني التقاليدَ الزراعيَّةَ

دَرَّبني على الناي،واحرقني لكي أُولَدَ

كالعنقاءِ من ناري ونارك!

* * *

كان شيءٌ يُشبهُ العنقاءَ

يبكي دامياً،

قبل أَن يَسْقُطَ في الماء،

على مقربة من خَيْمَةِ الصيَّاد...

ما نفع انتظاري وانتظارِكْ؟

* * *

obeikandl.com

من روميّات أبي فراس الحمداني

صدىً راجعٌ. شارعٌ واسعٌ في الصدى
خُطىً تَتَبادَلُ صَوْتَ السُعال،وتَدنو
مِنَ الباب،شَيْئاً فشَيْئاً،وتَنْأَى
عن الباب. ثَمَّةَ أَهلٌ يَزُورُونَنا
غداً في خميس الزيارات. ثَمَّةَ ظِلٌّ
لنا في المَمَرّ. وشمسٌ لنا في سلالِ
الفواكِهِ. أُمٌّ تُعاتِبُ سجَّانَنا:
لماذا أَرَقْتَ على العُشْب قهوَتنا يا
شَقيُّ؟ وثَمَّةَ مِلْحٌ يَهُبُّ من البحر،
ثَمَّةَ بَحْرٌ يَهُبُّ من الملحِ. زنزانتي
اتَّسَعَتْ سنتيمتراً لصوت الحمامةِ: طيري
إلى حَلَبٍ،يا حمامةُ طيري بِرُومِيَّتي
واحملي لابنِ عمّي سلامي!
صدىً

obeikandl.com

للصدى. للصدى سُلَّمٌ مَعْدَنِيٌّ،شَفَافيَّةٌ وندى
يعجُّ بمَنْ يَصْعَدون إلى فجرهم... وبمَنْ
ينزلون إلى قبرهم من ثُقُوب المَدَى...
خُذُوني إلى لُغَتي مَعَكُمْ! قلتُ:
ما ينفَعُ الناسَ يمكُثُ في كَلِماتِ القصيدِ
وأَمَّا الطُبولُ فتطفو على جِلدها زَبَدا
وزنزانتي اتَّسَعَتْ،في الصدى،شرفةٌ
كَثَوْبِ الفتاة التي رافَقَتْني سُدى
إلى شُرُفات القطار،وقالتْ: أَبي
لا يُحبُّكَ. أُمّي تُحبُّك. فاحذرْ سَدُومَ غدا
ولا تَنْتَظِرني،صَبَاح الخميسْ،أَنا لا
أُحبُّ الكثافَةَ حين تُخَبّئُ في سجنها
حَرَكات المعاني،وتتركُني جَسَدا
يَتَذَكَّرُ غاباتهِ وَحْدَهُ... للصدى غُرْفَةٌ
كزنزانتي هذه: غرفَةٌ للكلام مع النفسِ،
زنزانتي صُورَتي لم أَجِدْ حَوْلَها أَحدا
يُشَارِكْني قهوتي في الصباح،ولا مِقْعدا
يُشاركني عُزْلَتي في المساء،ولا مَشْهَدا

obeikandl.com

أُشاركهُ حَيْرتي لِبلُوغ الهُدَى.

فلأكُنْ ما تريدُ لِيَ الخَيْلُ في الغَزَوات:

فإمَّا أَميراً

وإمَّا أَسيراً

وإمَّا الردى!

وزنزانتي اتَسَعَتْ شارعاً شارعين. وهذا الصدى

صدى،بارحاً سانحاً،سوف أخرُجُ من حائطي

كما يخرج الشَبَحُ الحُرُّ من نفسه سَيّدا

وأَمشي إلى حلَبٍ. يا حمامةُ طيري

بُرُوميَّتي،واحملي لابن عمّي

سلامَ الندى!

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

شهادة من برتولت بريخت
أمام محكمة عسكرية
(١٩٦٧)

سيّدي القاضي!

أَنا لستُ بجنديّ،

فماذا تطلبون الآنَ منّي؟

وأَنا لا شأنَ لي في ما تقولُ المحكمةْ،

ذَهَبَ الماضي إلى الماضي سريعاً...

دون أَن يسمَعَ منّي كَلِمَةْ

مَضَتِ الحربُ إلى المقهى لترتاحَ...

وطيَّاروكَ عادوا سالمينْ

والسماءُ انكسرتْ في لُغَتي،يا سيّدي

القاضي ــ وهذا شأنيَ الشخصيُّ ــ

لكنَّ رعاياكَ يجرُّون سمائي خلفهُمْ ... مبتهجينْ

ويُطلُّون على قلبي،ويرمون قشورَ الموزِ

obeikandl.com

في البئر. ويمضون أَمامي مسرعينْ

ويقولونَ: مساء الخير أَحياناً،

ويأتونَ إلى باحة بيتي ... هادئينْ

ويناموُنَ على غَيْمةِ نَوْمي ... آمنينْ

ويقولون كلامي نفسَهُ،

بَدَلاً مني،

لشُبَّاكي،وللصيف الذي يَعْرَق عطرَ الياسمينْ

ويُعيدون منامي نفسَهِ،

بَدَلاً منّي،

ويبكون بعينيَّ مزاميرَ الحنينْ

ويُغنُّون،كما غنَّيْتُ للزيتونِ والتينِ

وللجزئيّ والكُلّيّ في المعنى الدفينْ.

و يعيشون حياتي مثلما تعجبُهُمْ،

بَدَلاً مني،

ويمشون على اسمي حَذِرينْ....

وأَنا،يا سيّدي القاضي هنا

في قاعة الماضي،سجينْ

obeikandl.com

مَضَتِ الحربُ. وضُبَّاطُكَ عادوا سالمينْ

والكرومُ انتشرتْ في لغتي،يا سيّدي

القاضي ــ وهذا شأنِيِ الشخصيُّ ــ إنْ

ضاقتْ بيَ الزنزانةُ امتدَّتْ بيَ الأرضُ،

ولكنَّ رعاياكَ يجُسُّون كلامي غاضبينْ

ويَصيحُون بآخابَ وإيزابيلَ: قُوما،وَرِثا

بستانَ نابوتَ الثمين!

ويقولون: لنا الله

لا للآخرين!

ما الذي تطلبه،يا سيدي القاضي،

من العابر بين العابرين؟

في بلادٍ يَطْلُبُ الجلاّدُ فيها

من ضحاياهُ مديحَ الأَوسمةْ!

آنَ لي أَن أَصرُخَ الآنَ

وأَن أسْقِطَ عن صوتي قناعَ الكلِمَةْ:

هذه زنزانةُ،يا سيّدي،لا مَحْكمةْ

وأَنا الشاهدُ والقاضي. وأَنت الهيئةُ المُتَّهمَةْ

obeikandl.com

فاتركِ المقعدَ،واذهب: أَنتَ حُرٌّ أَنتَ حُرٌّ،

أيها القاضي السجينْ

إنَّ طياريكَ عادوا سالمينْ

والسماءَ انكسرتْ في لُغَتي الأُولى ــ

وهذا شأنِيَ الشخصيُّ ــ كي يرجِعَ

موتانا إلينا ـــ سالمينْ!

* * *

obeikandl.com

خلاف، غير لُغوي،

مع امرئ القيس

أَغلقوا المَشْهَدَ

تاركين لنا فُسحَةً للرجوع إلى غَيرنا

ناقصينَ. صَعَدنا على شاشة السينما

باسمينَ،كما يَنْبَغي أَن نكونَ على

شاشة السينما،وارْتَجَلْنا كلاماً أُعِدَّ

لنا سَلَفاً،آسفين على فُرْصَةِ

الشُهَداءِ الأخيرةِ. ثم انْحَنَيْنَا نُسَلِّمُ

أَسماءَنا للمُشَاة على الجانبين. وَعُدْنا

إلى غَدِنا ناقصينْ...

* * *

أَغلقوا المَشْهَدَ

انتصروا

عَبَرُوا أَمسَنا كُلَّهُ،

obeikandl.com

غَفَرُوا

للضحيَّةِ أخطاءَها عندما اعتَذَرَتْ

عَنْ كلامٍ سيخطُرُ في بالها،

غيَّروا جَرَسَ الوقتِ

وانتصروا....

* * *

عندما أَوصلُونا إلى الفَصْلِ قبل الأخيرِ

التَفَتْنَا إلى الخلف: كان الدخانُ

يُطِلُّ مِنَ الوقت أَبيضَ فوق الحدائق

من بَعْدنا. والطواويسُ تنشُرُ مروحةَ

اللون حول رسالة قَيْصَر للتائبينَ

عن المُفْرَدات التي اهتَرأَتْ. مثلاً:

وَصْفُ حُرَيَّةٍ لم تجدْ خُبْزَها. وَصْفُ

خُبزٍ بلا مِلْحِ حُرَيَّةٍ. أَو مديحُ حمامٍ

يطيرُ بعيداً عن السُوقِ...

كانت رسالةُ قَيْصَرَ شمبانيا للدخانِ

obeikandl.com

الذي يتصاعَدُ من شُرْفَةِ الوقت

أَبيض...

* * *

أَغلقوا المَشْهَدَ

انتصروا

صَوَّروا ما يريدونَه من سماواتنا

نجمةً .. نجمةً

صَوَّروا ما يريدونَه من نهاراتنا

غيمةً غيمةً،

غَيَّروا جَرَسَ الوقتِ

وانتصروا...

* * *

إلتفتنا إلى دَوْرِنا في الشريط المُلَوَّنِ،

لكننا لم نجدْ نجمةً للشمال ولا خيمةً

للجنوب. ولم نَتَعَرَّفْ على صوتنا أَبداً.

لم يكن دَمُنا يتكلَّمُ في الميكروفونات في

ذلك اليوم،يَوْمَ اتَّكأْنا على لُغَةٍ

بَعْثَرَتْ قلبها عندما غيَّرتْ دَرْبَها . لم

obeikandl.com

يَقُلْ أَحدٌ لامرئ القيسِ: ماذا صنعتَ

بنا وبنفسكَ؟ فاذهب على درب

قَيْصَرَ، خلف دُخانٍ يُطلُّ مِنَ

الوقت أَسْوَدَ.واذْهَبْ على درب

قَيْصَرَ،وَحْدَكَ،وَحْدَكَ،وَحْدَكَ

واتركْ لنا،ههنا،لُغَتَكْ!

* * *

obeikandl.com

لي حكمة المحكوم بالإعدام

لِيَ حِكْمةُ المحكوم بالإعدامِ:

لا أشياءَ أملكُها لتملكني،

كتبتُ وصيَّتي بدمي:

((ثِقُوا بالماء يا سُكَّانَ أُغنيتي!))

وَنِمْتُ مُضَرّجاً ومُتَوَّجاً بغدي...

حَلِمْتُ بأنَّ قلب الأرض أكبرُ

من خريطتها،

وأَوضحُ من مراياها وَمِشْنَقَتي.

وَهمْتُ بغيمةٍ بيضاءَ تأخذني

إلى أَعلى

كأنني هُدْهُدٌ،والريحُ أَجنحتي.

وعند الفجر،أَيقظني

نداءُ الحارس الليليّ

من حُلْمي ومن لغتي:

obeikandl.com

ستحيا مِيْتَةً أخرى،

فَعَدّلْ في وصيتكَ الأخيرةِ،

قد تأجَّل موعدُ الإعدام ثانيةً

سألت: إلى متى؟

قال: انتظر لتموت أكثرَ

قُلْتُ: لا أشياء أملكها لتملكني

كتبتُ وصيَّتي بدمي:

((ثِقُوا بالماء

يا سُكَّان أغنيتي!))

* * *

obeikandl.com

لا تعتذر عمَّا فعلت

لا تعتذرْ عمَّا فَعَلْتَ ــ أَقول في

سرّي. أقول لآخَري الشخصيّ:

ها هِيَ ذكرياتُكَ كُلُّها مرئِيّةٌ:

ضَجَرُ الظهيرة في نُعَاس القطّ/

عُرْفُ الديكِ/

عطرُ المريميَّةِ/

قهوةُ الأُمّ/

الحصيرةُ والوسائدُ/

بابُ غُرْفَتِكَ الحديديُّ/

الذبابةُ حول سقراطَ/

السحابةُ فوق أفلاطون/

ديوان الحماسةِ/

صورةُ الأب/

obeikandl.com

مُعْجَمُ البلدانِ/

شيكسبير/

الأشقّاءُ الثلاثةُ،والشقيقاتُ الثلاثُ،

وأَصدقاؤك في الطفولة،والفضوليُّون:

((هل هذا هُوَ؟)) اختلف الشهودُ:

لعلَّه،وكأنه. فسألتُ: ((مَنْ هُوَ؟))

لم يُجيبوني. هَمَسْتُ لآخري: ((أَهو

الذي قد كان أنتَ... أنا؟)) فغضَّ

الطرف. والتفتوا إلى أُمّي لتشهد

أَنني هُوَ ... فاستعدَّتْ للغناء على

طريقتها: أنا الأمُّ التي ولدتْهُ،

لكنَّ الرياحَ هيَ التي رَبَّتْهُ.

قلتُ لآخري: لا تعتذر إلاّ لأمّكْ!

* * *

obeikandl.com

سقط الحصان عن القصيدة

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ

والجليليّاتُ كُنَّ مُبَلَّلاتٍ

بالفَراشِ وبالندى،

يَرْقُصْنَ فوق الأقحوانْ

* * *

الغائبان: أنا وأنتِ

أَنا وأنتِ الغائبانْ

* * *

زوجا يمام أَبيضانْ

يَتَسَامران على غُصون السنديانْ

* * *

لا حُبَّ،لكني أُحبُّ قصائدَ

الحبّ القديمةَ،تحرسُ

obeikandl.com

القَمَرَ المريضَ من الدخانْ

* * *

كرٌّ وفرٌّ،كالكَمَنْجَةِ في الرباعياتِ

أَنْأَى عن زماني حين أَدنو

من تضاريس المكانْ...

* * *

لم يَبْقَ في اللغة الحديثةِ هامشٌ

للاحتفاء بما نحبُّ،

فكُلُّ ما سيكونُ ... كانْ

* * *

سقط الحصان مُضَرَّجاً

بقصيدتي

وأنا سقطتُ مُضَرَّجاً

بدَمِ الحصانْ...

* * *

obeikandl.com

الأربعاء، الجمعة، السبت

الأربعاءُ/

الجُمْعَةُ/

السَّبْتُ/

الأساطيرُ،البلادُ،تشابَهَتْ...

لو كان لي قلبان لم أَندم على

حبّ،فإنْ أَخطَأتُ قُلْتُ: أَسأتَ

يا قلبي الجريحَ الاختيارَ! ... وقادني

القلبُ الصحيحُ إلى الينابيع/

الخميسُ

السّوْسَنُ/

الاثنين/

* * *

لا تعتذر عما فعلت

obeikandi.com

أسماءُ المكان تشابَهَتْ. أرْهقْتُ أُغنيتي

بوصف الظلّ. والمعنى يَرَى قَلْبَ

الظلام ولا يُرَى. قال الكلامُ كلامَهُ،

فبكتْ إلهاتٌ كثيراتٌ على أدوارهنَّ

أَلحكمةُ/

الأحَدُ/

الغّدُ/

الطُرُقُ،الثلاثاءُ،السماء،تشابهت...

لو كان لي دربان لاخترتُ البديلَ

الثالثَ. انكشَفَ الطريقُ الأَوَّلُ،

انكشَفَ الطريقُ الآخَرُ،

انكشَفَتْ دُروبُ الهاويةْ

* * *

obeikandl.com

لا تكتب التاريخ شعراً

لا تكتبِ التاريخَ شعراً،فالسلاحُ هُوَ
المؤرّخُ . والمؤرّخ لا يُصَابُ برعشة
الحُمَّى إذا سَمَّى ضحاياه ولا يُصْغي
إلى سرديّة الجيتار. والتاريخ يوميّاتُ
أَسلِحَةٍ مُدوَّنةٌ على أَجسادنا. ((إنَّ
الذكيَّ العبقريَّ هو القويُّ)). وليس
للتاريخ عاطفةٌ لِنَشْعُرَ بالحنين إلى
بدايتنا،ولا قصدٌ لنعرف ما الأمام
وما الوراء ... و لا استراحاتٌ على
سِكك الحديد لندفن الموتى،وننظُرَ
صَوْبَ ما فَعَلَ الزمانُ بنا هناك،وما
فَعَلْنا بالزمان. كأَنَّنا منهُ وخارجَهُ.
فلا هو منطقيٌّ أَو بديهيٌّ لنكسرَ
ما تَبَقَّى من خرافتنا عن الزمن السعيد،

obeikandl.com

ولا خرافيٌّ لنرضى بالإقامة عند أبواب

القيامةِ. إنَّهُ فينا وخارجنا .. وتكرارٌ

جُنُونيٌّ،من المِقْلاع حتى الصاعق النَّوَويّ.

يصنعُنا ونصنعه بلا هَدَفٍ ...هل

التاريخ لم يُولَدْ كما شئنا،لأن

الكائنَ البشريَّ لم يُوجَدْ؟

فلاسِفَةٌ وفنَّانونَ مَرُّوا من هناك...

ودوّن الشعراء يوميّات أزهار البنفسج

ثم مروا من هناك ... وصدَّق الفقراءُ

أخباراً عن الفردوس وانتظروا هناك ...

وجاء آلهةٌ لإنقاذ الطبيعةِ من أُلُوهيَّتِنا

ومَرُّوا من هناك. وليس للتاريخ

وَقْتٌ للتأمُل،ليس للتاريخ مرآةٌ

وَوَجهٌ سافرٌ. هو واقعٌ لا واقعيٌّ

أَو خيالٌ لا خياليٌّ،فلا تكتبه.

لا تكتبه،لا تكتبه شعراً!

* * *

obeikandl.com

في الشام

في الشام،أَعرفُ مَنْ أنا وسط الزحام.
يَدُلُّني قَمَرٌ تَلألأَ في يد امرأةٍ ... عليَّ.
يدلّني حَجَرٌ تَوَضَّأَ في دموع الياسمينة
ثم نام. يدلُّني بَرَدى الفقيرُ كغيمةٍ
مكسورةٍ. ويَدُلُّني شِعْرٌ فُروسيٌّ عليَّ:
هناك عند نهاية النفق الطويل مُحَاصَرٌ
مثلي سَيُوقِدُ شمعةً،من جرحه،لتراهُ
ينفضُ عن عباءتِهِ الظلامَ. تَدُلُّني رَيْحَانةٌ
أرخت جدائلها على الموتى ودفَّأت الرخام.
((هنا يكون الموتُ حباً نائماً)) ويدُلُّني
الشعراء،عُذريّين كانوا أم إباحيّينَ،
صُوفيّين كانوا أم زَنَادقَةً،
عليَّ: إذا
اخْتَلَفْتَ عرفتَ نفسكَ،فاختلفْ تجد

obeikandl.com

الكلامَ على زهور اللوز شفّافاً،ويُقْرِئُكَ

السماويُّ السلامَ. أَنا في الشام،

لا َشبَهي ولا شَبَحي. أَنا وغدي يداً

بيدٍ نُرَفْرِفُ في جناحَيْ طائرٍ. في الشام

أَمشي نائماً،وأَنامُ في حِضْن الغزالةِ

ماشياً. لا فرق بين نهارها والليل

إلاّ بعضُ أشغال الحمام. هناك أرضُ

الحُلْم عاليةٌ،ولكنَّ السماء تسيرُ عاريةً

وتَسْكُنُ بين أَهل الشام...

* * *

obeikandl.com

أَتذكّر السَّيّاب

أَتذكَّرُ السَّيَّابَ،يصرخُ في الخليج سُدَىً:

((عِراقُ،عراقُ،ليس سوى العراق...))

ولا يردّ سوى الصدى.

أَتذكَّرُ السَّيَّاب،في هذا الفضاء السومريّ

تغلّبتْ أُنثى على عُقْم السديمِ

وأَوْرَثَتْنا الأرضَ والمنفى معاً

أَتذكَّرُ السَّيَّاب ... إن الشَّعْرَ يُولَدُ في العراقِ

فكُنْ عراقيّاً لتصبح شاعراً يا صاحبي!

أَتذكَّرُ السَّيَّاب،لم يَجِدِ الحياةَ كما

تخيَّلَ بين دجلةَ والفراتِ،فلم يفكّر

مثلَ جلجامشْ بأعشاب الخلود،

ولم يُفَكّر بالقيامة بعدها...

أَتذكَّرُ السَّيَّاب،يأخذُ عن حمورابي

الشرائعَ كي يُغَطّي سَوْءَةً،

obeikandl.com

ويسير نحو ضريحه متصوّفاً.

أَتذكَّرُ السَّيَّاب، حين أُصابُ بالحُمّى

وأهذي: إخوتي كانوا يُعدُّون العَشَاءَ

لجيش هولاكو،ولا خَدَمٌ سواهُمْ... إخوتي!

أَتذكَّرُ السَّيَّاب،لم نَحْلُمْ بما لا

يستحقَّ النَّحلُ من قُوتٍ. ولم نحلم

بأكثرَ من يدين صغيرتين تصافحان غيابنا.

أَتذكَّرُ السَّيَّاب. حدّادون موتى ينهضون

من القبور ويصنعون قيودنا.

أَتذكَّرُ السَّيَّابَ. إنَّ الشعرَ تجربةٌ ومنفى

توأمان. نحن لم نحلُمْ بأكثر من

حياةٍ كالحياةِ،وأن نموت على طريقتنا

((عراقُ

((عراقُ

((ليس سوى العراقْ...))

* * *

obeikandl.com

طريق الساحل

طريـــقٌ يُـــؤدّي إلى مـــصرَ والـــشام
[قلـــبي يـــرنُّ مـــن الجِهَتَـــيْنْ]

طريـــقُ المـــسافر مِـــنْ ... وإلى نفـــسهِ
[جَـــسَدي ريـــشةٌ والمـــدى طـــائرٌ]

طريـــقُ الـــصواب ... طريـــقُ الخطـــأ
[لعلَّـــي أَخطأتُ،لكنهـــا التجربـــة]

طريـــقُ الـــصعود إلى شُـــرفات الـــسماء
[وأَعلـــــــى وأَعلى،وأَبعـــــــدْ]

طريـــــقُ النـــــزول إلى أوَّل الأرضِ
[إنَّ الـــــسماء رماديّـــــةٌ]

طريـــــق التأمُّـــــل في الحـــــبّ
[فالحـبُّ قـد يجعـلُ الـذئبَ نـادلَ مقهـى]

طريقُ السنوسنو ورائحةُ البرتقال على البحرِ
[إنَّ الحـــــنينَ هُـــــوَ الرائحـــــةْ]

طريـــقُ التَّوَابـــلِ والملـــحِ والقمـــحِ
[والحـــــــــربِ أَيـــــــــضاً]

طريـــقُ الـــسلام المُتَـــوَّجِ بالقُـــدْسِ
[بعـد انتهـاء الحـروب صـليبيَّةِ الأقنعـة]

طريـــقُ التجـــارة والأبجديَّـــة،والحالمينَ
[بتـــــأليف ســـــيرةِ تِرْغَلَّـــــةٍ]

طريـــقُ غُـــزاةٍ يريـــدون تـــرميمَ تـــاريخهم
[بغـــــدٍ مُـــــودَعٍ في البنـــــوك]

طريـــــقُ التَّحَـــــرُّشِ بالميثولوجيـــــا
[فقـــد تَـــسْتَجيبُ إلى التكنولوجيـــا]

obeikandl.com

طريـــقُ التخلّـــي،قليلاً،عن الإيـــديولوجيا [المـــــــــــــصلَحَةِ العَوْلَمَـــــــــــــةْ]

طريـــــق الـــــصراع علـــــى أيّ شـــــيءٍ [ولـــــو كـــــان جِـــــنْسَ المـــــلاك]

طريـــــق الوفـــــاق علـــــى كُـــــلّ شـــــيء [ولـــــو كـــــان أنثـــــى الحجـــــر]

طريـــــــقُ الإخـــــــاء المُخَاتِـــــــلِ [بـــــين الغـــــزالِ وصـــــيّادِهِ]

طريـــقٌ يـــدلُّ علـــى الـــشيء أو عكـــسه [لفـرط التَّـشَابُه بـين الكِنَايَـةِ والاسـتعارة]

طريـــقُ الخيـــول الـــتي صَـــرَعَتْها المـــسافات [والطـــــــــــــــــــائرات...]

طريـــــقُ البريـــــد القـــــديم المُـــــسَجّل [كُـلُّ الرسـائل مُودَعَـةٌ في خـزائن قيـصر]

طريـــــقٌ يطـــــــول ويقـــــــصُرُ [وَفْـــق مـــزاج أبـــي الطيّـــب المُتَنَبّـــي]

طريـــقٌ الإلهـــاتِ مُنْحنيـــاتِ الظُّهُـــور [كرايـــــات جـــــيشٍ تَقَهْقَـــــرْ]

طريـــقُ فتـــاةٍ تُظَلَّـــلُ عانَتهـــا بالفراشـــةِ [فـــاللازَوَرْدُ يُجَرّدُهـــا مـــن ملابـــسها]

طريـــقُ الـــذين يُحيّـــرُهُمْ وَصْـــفُ زهـــرِ لـــوزٍ [لأن الكثافـــــــــةَ شَـــــــــفَّافةٌ]

طريـــــقٌ طويـــــلٌ بـــــلا أنبيـــــاء [فقـــــد آثَـــــروا الطُّـــــرُقَ الـــــوَعِرَة]

طريـــــقٌ يـــــؤدّي إلى طَلَـــــل البيـــــتِ [تحـــــت حديقـــــة مُـــــسْتَوْطَنَة]

obeikandl.com

طريقٌ يَسُدّ عليَّ الطريق

فيصرخ بي شَبَحي:

إنْ أردت

الوصولَ

إلى نفسك الجامحةْ

فلا

تَسْلُكِ

الطُّرْقَ الواضحةْ!

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

خليل الوزير[1] ومرارة الحرية

بقلم: محمود درويش

كان المشهد مهيأ لطقس آخر، ..

كانت قرطاج، منذ قليل، محطة قصيرة لسرب الطيور العائدة من هجرة البحر..

وكان البحر يدل على أول البحر.

أما اللغة، لغتنا، فقد استعادت بهاء الأبجدية الأولى، وشرعت في حل ما يفيض عنها من خيبة وخيام.

...فنحن الذين صرنا قادرين على الفرح، قد صرنا قادرين على تركيب الوطن، حجراً على حجر، من حجر لا من كلام. كأننا ندخل في النشيد الحافي، أو نخرج منه واضحين واضحين، على طريق واضح وحاد، اليوم لا غداً، بعدما صار الوقت في أيدينا ملك أيدينا. وعما قليل عما قليل . تمشي أمنية العمر على قدميها الداميتين إلى بيتها الأول. كنا ننشد صعوبة الفرح، بعدما أدمنَّا ما يدمينا من أحزان الرحيل. كنا نقرع باب البهجة البعيد. كنا نسمع الصدى القريب.

لكن خليل الوزير..

ماذا فعل خليل الوزير؟

---

(١) خليل الوزير: (أبو جهاد) من قادة المقاومة الفلسطينية. اغتيل من قبل (الموساد) بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٨٨، في منزله بضاحية بو سعيد جنوب العاصمة التونسية.

openkanal.com

لم يجرحنا من قبل، ولم يُغْضب أحداً منا: أصابع يد ترقّص العاصفة، وتعد الأيام الموعودة على سبابة وإبهام. بشاشة تضحك من أعماق الليل. وألفة تصطاد النحل والنمور الشرسة. أخ للجميع ...أب للجميع، وعيد بلا ميعاد.

فلماذا يجرحنا حبيبنا الآن؟ لماذا يغدر بأقحوان السفوح ؟ لماذا ((يجعل ابريل أقسى الشهور))؟ لماذا يغافلنا، ويصرخ: جدوا لي قبراً في أي مكان. هذا الذي يؤسس ذاك الوطن، لماذا يرمي بهذا السؤال؟

لماذا يطلب جملة اعتراضية؟

لقد رمينا، منذ قليل، بالمفردات التي لا تليق بهذا الوقت، ولا تليق بما أعد لجيل النصر من نصر.

تلك عادات البطل الذي لا يعرف أنه بطل. في قلبه سلام يراه على الخارج، في قلبه سلام يحجب المفاجأة.....

وتلك عادات البطل التراجيدي: على الأسطورة أن تكتمل بتدخّل مباغت من قَدَر لا يعمل إلا بشروطه الخاصة الساخرة. إذ ليس من حق البطل أن يشهد ختام النشيد. عليه أن يعد النصر ولا يتمتع بالنصر. عليه أن يعد حفلة الزفاف ولا يُزف.عليه أن يصنع الحرية ولا يتحرر. عليه أن يسقط على اللحظة القصيرة الفاصلة بين زمنين.. على برزخ هو جسده. وعليه أن يورث لا أن يرث.

قال أبوه: إني انتظر هذه اللحظة منذ عشرين سنة.

أما ابنه الأصغر، ((نضال)) ابن العامين، فقد كان يلعب بلعبة العمر : شارة النصر؛ شارة النصر التي أعدها له أبوه، قبل أن ينجبه بعشرين عاما. واشتد تعلق ((نضال)) بشارة النصر، منذ تسلل من وابل الرصاص ليلة السبت (١٩٨٨/٤/١٦)، ورأى أباه نائماً في بحيرة من شقائق النعمان. وها هو، على سلم الطائرة التي تحمل قلبنا الجماعي من تونس إلى الشام، يُودّعُنا بشارة النصر ويُودعنا شارة النصر..

لكن ((حنان)) و ((إيمان)) لا تعرفان تماماً متى تبتسمان ومتى تبكيان، منذ أخذهما أبوهما، أبو جهاد، إلى مطلع القصيدة الطويلة، ومنذ امسك ((جهاد)) بذيل الريح.

فماذا فعل القتلة؟

لقد جرحونا في أوج الصعود إلى درج الغد والبرتقال. جرحونا في النخاع. إن الجرح عميق وموجع إلى درجة لا نشعر معها إلا بمرارة الحرية. فالحرية ليست قرصاً من عسل. الحرية ليست ورداً على سياج بعيد.

لقد جرحونا، لندرك ما لا يدركون، لندرك انه ليس في وسع العاصفة أن تتوقف في منتصف الصفصافة. جرحونا، لندرك ما لا يدركون، لندرك أن الانتفاضة هي الوطن والحرية معاً ..

إن اغتيال خليل الوزير هو محاولة لاغتيال الانتفاضة، فهل في مقدور الأعداء أن يطفئوا بدم خليل الوزير طيبَ الانتفاضة؟

لقد توهجت، وتأججت، وتزوجت دمه الناري لأن الجرح لا يقوي مناعة الجسد فحسب، بل ينشب مخالب الروح أيضاً. و خليل الوزير يتحول في هذه الأقاليم من بطل إلى أسطورة تنفخ في حجارة الوطن نفس الحياة الأولى ونداء الرعد النبوي:

انهضي انهضي.

انهضي حجارة أرضي.

لتبني لنا وطناً من سلام.

لتبني لنا لغة من رخام!.

فماذا فعل القتلة؟

لقد احتاجوا إلى ساحتهم الخاصة ليرسموا مشهدهم الخاص، ولينقلوا المعركة إلى مجالهم الحيوي: الإرهاب. لأنهم في حاجة إلى انتصار المقومات الأولى على انفجار الأرض في نسيج الوجود. وكأنهم، وهم يعلنون جوهر هويتهم الإرهابية، يريدون أن يستدرجونا إلى الملامح التي يحددونها لصورتنا، بعدما اتضح الفارق الشاسع، بين صورتين:

صورة المدافعين عن الحرية والوطن.

وصورة الغزاة المتخمين بآلة القتل.

فماذا فعل القتلة أكثر من الإفصاح عن هويتهم؟ لقد اغتالونا كثيراً كثيراً في كل مكان، بكاتم الصوت ذاته، وبالقناع ذاته. وانتصروا علينا في شروط الغابة، غابتهم، في معركة ليست معركتنا. هم الإرهابيون بامتياز، هم القتلة بامتياز، هم القراصنة بامتياز، هم قطاع الطرق بامتياز..

فماذا بعد... ماذا بعد!

سيحتاج الوعي العالمي المتفرج إلى وقت أطول وإلى اغتيال أكثر، كي يعيد صياغة مفهوم جديد عن الإرهاب إزاء حرج قانوني يسببه تباهي دولة بتفوقها في فن الإرهاب، بعدما اعتاد إلصاق هذه التهمة بالضحية. ومن الترف أن نعيد طرح السؤال الساذج: من هو الإرهابي؟ من هو الإرهابي؟

هل هو الولد الذي يقاوم الدبابة بحجر. أم هي الدولة التي تغتال الولد بدبابة.

من هو الإرهابي؟ هل هو الشعب الذي يدافع عن حقه في الوجود أمام حرب الإبادة، أم هي الدولة التي تغتال خليل الوزير في تونس؟

لتذهب هذه الأسئلة إلى الجحيم!

فلن يتمكن العدو من استدراجنا إلى ناموسه وإلى عمليات التباس الفوارق. فإن الانتفاضة التي كانت أحد التجليات الكبرى لأحلام خليل الوزير ولتضحياته العظيمة، ستواصل إبداع قدرتها على الاستمرار والتطور. لقد سقط فارس الانتفاضة وهو يتلمس سنابل القمح الذي أمضى حياته في بذاره، في كل حقل وعلى كل صخرة. لقد سقط الزارع بعدما نما الزرع وانتهت فصول الجفاف.

لم تذهب لحظة من حياة خليل الوزير سدى. لقد وزع جسده على كل الخنادق، واخترق الحصار تلو الحصار. وها هو الآن يرش دمه المتفجر على مشهد الميلاد العظيم.. ها هو يرى الجنين في ساعة الولادة الكبرى.. ها هو يتحرر من المنافي التي لا حصر لها، ويفرغها على عتبة الوطن.

لم ندرك، حتى هذه اللحظة، أن خليل الوزير قد غاب. فهو الذي يدفع الانتفاضة الآن إلى مستوى أعلى من التصعيد. وهو الذي يحرك في الواقع الملتهب، هنا وهناك، شبق الساعات التي تسبق النصر.

ولكننا كنا ندرك، دائماً، أنه أكثر من مبنى، وأوسع من مؤسسة. إنه أفق في رجل في كل واحد منا أثر فيه، وفيه موسوعة البلاد: أسماء الناس، وأسماء النبات، وأسماء الجماد. كان يحفظ الوطن، ويتلوه بتدفق التفاصيل كما يحفظ الطالب درسه الأول.

ولا مكان لمكانه.. إنه منتشر كالأنهار التي تعرف مصبها ولا تعرف ضفافها. وهو رمز لكل ما هو حيوي في حياتنا المحرومة من انضباط التقاليد.

أإلى هذا الحد يستطيع الرجل الزاهد أن يتحول إلى مجتمع؟

أإلى هذا الحد يصل به الزهد: إلى حد حرمان نفسه من لذة المشاركة في النصر! لم نفتقده بعد، لأنه لا يزال بيننا، ومعنا، وحارساً لحدود الحلم..

سنفتقده، أكثر، هناك.. حين نهنئ بعضنا البعض بالنصر، ولن نجده بيننا.

هناك... أمام الشجرة التي غرسها، وتحت الراية التي رفعها. هناك.. سيختلط العيد بالحداد؟

هناك... سنبكي عليه أكثر؟

هناك... سنذوق مرارة الحرية؟

هناك سنجهش: أين أبو جهاد؟

obeikandl.com

خلاصة عامة

في مسيرة محمود درويش الشعرية، يمتزج الخاص بالعام، وتتداخل التجربة الذاتية بالهواجس الوطنية الواعية والمشاعر القومية والأحاسيس الإنسانية العليا، إنه شاعر القضية، شاعر الإنسانية، ولا نقصد هنا قضية فلسطين الدامية وما نتج عنها، إنها قضية الإنسان المقموع، في كل زمان ومكان، الذي اقتلع من أرضه بصورة وحشية من أجل تدمير تراثه الروحي وتاريخه المضيء وثقافته الخاصة، وإذابته عنوة في محيط غريب عنه.

لقد نذر شاعرنا الكبير دمه وروحه، وبقايا أعصابه، وحصيلة ثقافته العربية والعالمية التي يختزنها في ذاكرته ووجدانه، بعد ما بلغ من النضج الفكري ما بلغه، وبعدما استوعب من ثقافات الدنيا ما استوعب، من أجل أن يكون شعره بصورة عامة، رسالة حق ورسالة صدق وسلام لأبناء البشرية كافة، لئلا تتكرر مأساة فلسطين العربية في أمكنة أخرى من العالم، وهذا ما يجعلنا نتلمس في شعره (الهمّ النضالي) الذي يسكنه حتى في إشراقات الإبداع الذاتي، فما من حبيبة إلاّ وهي الوطن، وما من امرأة حسناء إلاّ وهي الوطن، وما من حرمان أو شقاء بشري إلاّ وهو نابع من حرمان الشاعر من وطنه السليب، فكان محمود درويش بحق شاعر (المعاناة والتجربة المريرة) التي أنتجت عن عفو خاطر هذا الشعر النقي الصافي العذب، الذي يبشر بانتظار الحق وسيف العدالة الأزلي، الذي يبشر بانتصار الحق بعد رحيل واندحار موجات الجراد البشري عن وطننا العربي، كما حدث في الماضي، إنه يقرأ بحسّه الإبداعي، ويرى بعيني (زرقاء اليمامة) ما هو قادم وما هو آت لا محالة، من تباشير النصر العظيم على أعداء الحياة.. أعداء الحب والجمال.. إنهم الصهاينة مغول هذا العصر.

ومما يسترعي الانتباه والتأمل معاً أن الشاعر في دواوينه الشعرية الأخيرة وهي:

- سرير الغريبة، ١٩٩٩م.
- لماذا تركت الحصان وحيداً ١٩٩٩م.
- لا تعتذر عما فعلت ٢٠٠٤م.

راح يبحث بسعي محموم عن الصور الجمالية المجردة، وعن الترف الجمالي للغة، مما أدخل شعره في هذه المرحلة إلى دهاليز الإبهام النسبي والسريالية، كقوله:

ماذا سيبقى من هِبات الغيمة البيضاء؟

زهرة بيلسانْ

ماذا سيبقى من رذاذ الموجة الزرقاءِ؟

إيقاع الزمانْ

ماذا سيبقى من نزيف الفكرة الخضراء؟

ماءٌ في عروق السنديانْ

ماذا سيبقى من دموع الحُبّ؟

وشمٌ ناعم في الأرجوان

أو كقوله:

الآن،إذْ تصحو،تَذَكَّرْ رقصةَ البجعِ

الأخيرة . هل رقصتَ مع الملائكة الصغار

وأنت تحلُمُ ؟ هل أضاءتك الفراشةُ عندما

احترقتْ بضوء الوردة الأبدي؟

openkandil.com

ولا غرابة في ذلك فليس الشاعر مسؤولاً عن مروره بالطفولة الشعرية، والمراهقة، والنضوج، والكهولة، فلكل تجربة أو حقبة زمنية، أدواتها وأسلوبيتها، وابتكاراتها الفنية، لا سيما إذا كان الأدب مسؤولاً بصورة ما عن مستقبل ومصير أمة مكافحة، تريد أن تأخذ مكانها الطبيعي على مائدة الحضارة الإنسانية، فتغني الحياة وتغتني بتجارب الآخرين:

لبلادنا،

وهي القريبة من كلام الله،

سقفٌ من سحاب

لبلادنا

وهي البعيدةُ عن صفات الاسمِ،

خارطة الغياب

لبلادنا،

وهي الصغيرة مثل حبّة سُمْسُمْ،

أُفُقٌ سماويٌّ .. وهاوية خفيفةْ

لبلادنا،

وهي الفقيرة مثل أجنحة القَطَا

كتبٌ مقدَّسةٌ .. وجرح في الهويةْ

لبلادنا،

وهي المطوَّقةُ الممزقةُ التلال

obeikandl.com

كمائنُ الماضي الجديد

لبلادنا،وهي السبيّةْ

حريةُ الموت اشتياقاً واحتراقاً

وبلادنا،في ليلها الدموي

جوهرةً تشع على البعيد على البعيد

تُضيء خارجها..

وأما نحن،داخلها،

فنزداد اختناقاً!

وإذا كانت لنا من كلمة أخيرة، فإن فلسطين تبقى مرتبطة باسم الشاعر محمود درويش إلى الأبد، فهما وجهان لعملة واحدة. وإذا ابتعد عن المباشرة والمنبرية في أعماله الشعرية الأخيرة، فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال، أن الجرح الفلسطيني النازف في الخاصرة العربية قد اندمل في قلبه الخافق بالحب، والذي يلوح به أمل العودة إلى ديار الأهل ومرابع الطفولة والصبا، حيث تغفو قبور الأجداد على حلم العودة.

obeikandl.com